

عمق الشعور بالطبيعة في الشعر المهجري

أستاذ مشارك- كلية التربية - جامعة كسلا

د. ميرغني حمد ميرغني حمد

باحث - مركز بحوث ودراسات دول حوض
البحر الأحمر

د. صلاح التوم ابراهيم محمد

المستخلص:

الطبيعة مصدر إلهام لكل شاعر، وقد شكلت الطبيعة لشعراء المهجر حياة موحية للمشاعر والأحاسيس، فتغنوا بكل ألوانها وأشكالها، وقد تناول هذا البحث الطبيعة في الشعر المهجري، وعرض مشاهدتها كما رسمها الشعراء المهجريون، وتنبع أهمية البحث من كون شعراء المهجر من أشد الناس تعلقاً بالطبيعة ومناجاتها، واتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي، وتوصل البحث لجملة من النتائج أهمها: أن شعراء المهجر ارتبطوا بالطبيعة ارتباطاً شعورياً وثيقاً خلق بينهم وبينها ارتباطاً وجدانياً، جعلهم يختلفون عن غيرهم من الشعراء في تناولهم للطبيعة. الكلمات المفتاحية: الطبيعة، شعراء المهجر، عمق الشعور

The depth feeling of the nature in Immigrant poetry

Dr. Margani Hamed Margani Hamed

Dr. salah Eltoom Eibrahim Mohmmed

Abstract:

Nature is a source of inspiration for every poet, For immigrant poets nature formed a revealing life of feelings and sensations, This research dealt with nature in the poetry of immigrants, The importance of the research comes from the fact that immigrant poets are among the people most attached to nature, The researcher followed the analytical descriptive approach, The research reached a number of results, the most important of which are: The immigrant poets were closely associated with nature.

Key words: the nature , Immigrant poets, depth feeling

مقدمة:

شعراء المهجر أو مدرسة المهجر هم شعراء عرب عاشوا ونظموا شعرهم وكتاباتهم في البلاد التي هاجروا إليها وعاشوا فيها، ويطلق اسم شعراء المهجر عادة على نخبة من أهل الشام وخاصي اللبنانيين والسوريين المثقفين الذين هاجروا إلى الأمريكتين في مابين 1870م حتى أواسط 1900م. وقد حفل الشعر المهجري بألوان مختلفة من الموضوعات، أبرزها الميل إلى الطبيعة والتفكير

فيها؛ فقد تطرقوا إلى شعر البيئة، حيث رسموه بأجمل الصور الفنية المتكاملة، كما جعل شعراء المهجر البيئة كأنها إنسان يخاطب الإنسان، وكانت لهم هي الأم الرحيمة التي تعطف على أبنائها، حتى أصبحت علاقتهم بها أمتن من صلة الدم .

ففي بحثنا هذا حاولنا تسليط الضوء على تناول شعراء المهجر للطبيعة، فلم نجد من لم يتناول الطبيعة بتاتاً في شعره منهم، فجميعهم من أخلص أبناء الطبيعة وعشاقها؛ فهم عميقو الإحساس بها، يرون في كل ما فيها أشياء حية.

أسئلة البحث:

1. ما دور الطبيعة في الأدب لمهجري؟
2. إلى أي حد مال شعراء المهجر إلى الطبيعة؟
3. ما عناصر الطبيعة التي تناولها شعراء المهجر؟
4. كيف برع شعراء المهجر في تصويرهم للطبيعة؟

أهداف البحث:

1. محاولة إلقاء الضوء على شعر الطبيعة لدى المهجريين.
2. محاولة الكشف عن الطبيعة وتجلياتها في الشعر المهجري.

أهمية البحث والدوافع لاختياره:

لقد كان شعراء المهجر من أشد الناس تعلقاً بالطبيعة ومناجاتها، لذلك تعمقوا في الشعور بها ووصفها، وهذا ما جعل الطبيعة تحتل مساحة شاسعة في أشعارهم، حيث كان له مذاق خاص ولونية جديدة، ومن هنا تأتي أهمية اختيارنا لدراسة الطبيعة في شعر المهجر موضوعاً للبحث، وتتمثل أهمية البحث في الآتي:

1. إن شعر الطبيعة يعد مادة خصبة في الشعر المهجري تستحق الدراسة والاهتمام.
2. إلقاء الضوء على موضوع مهم في الشعر المهجري ألا وهو الطبيعة.
3. عدم وجود دراسات سابقة كافية تفي بحق الموضوع وتغطي جوانبه، إذ أن أغلب الدراسات التي تناولت الشعر المهجري وشعره كانت تنجبه نحو موضوعات أخرى.

منهج البحث:

اتبع الباحثان المنهج الوصفي التحليلي لملاءمته لطبيعة البحث.

تمهيد:

مع بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر كثرت الهجرة من بلاد الشام التي تشمل لبنان وسوريا وفلسطين إلى بلاد المهجر وهي أمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية، في تلك الفترة، ويعود سبب تلك الهجرة إلى عدة عوامل، منها الاقتصادية والسياسية والدينية، ولعلنا نرى في الأبيات الآتية التي كتبها الشاعر المهجري «توفيق حسن الشرتوني»، تصويراً لكل تلك العوامل والأسباب، قائلاً:

لا الرزقُ في تربةِ الأوطانِ يُغنينا ولا توطنُ أرضِ الغيرِ يُرضينا

في أربع الأهل بُؤس العيش يُؤلنا
لو أن لبنان فيه العيش مُبسط
ما في البلاد مشاريع معززة
ولا المعامل للعمال كافية
دأء التغرب من بُؤس ومن عوز
فلا التسيّم بليلاً فيه يُشيّعنا
هبوا بني وطني فالأرض واسعة
وما المغاني التي اعتلت مغانينا^(١)

انقسمت قوافل المهاجرين إلى العالم الجديد إلى قسمين، قسم توجه إلى أمريكا الشمالية، وتوجه القسم الآخر إلى أمريكا الجنوبية؛ فوجد المهاجرون عناءً وتعباً، فلم يكن الحصول على لقمة العيش سهلاً، كما ظنوه وكما زين لهم، ولم تكن الأرض أمامهم مفروشة بالذهب ولا بالحريز؛ ولكنهم في سبيل الكفاح والإصرار على البقاء تحملوا في صبر وثبات شظف العيش، وقسوة الحياة، والعمل الشاق المرهق، وقد عبر عنهم الشاعر «إلياس فرحات» في قصيدته «حياة مشقات»:

طوى الدهر من عمري ثلاثين حجة
أغرّب خلف الرزق وهو مُشرق
ومزبّة للنقل راحت يجورها
جلسْتُ إلى حوذيها ووراءنا
حوت سلعاً من كل نوع يبيعها فتى
طويت بها الأصقاع أسعى وأدأب
وأقسم لو شَرقتُ كان يُغرب
حصان محمّر هزيل وأشهب
صناديق فيها ما يسر ويُعجب
ما استحلّ البيع لولا التغرب^(٢)

ونجد الشاعر «نسيب عريضة» من شدة ما لاقى من أثقال الحياة في الغربة، ما حبب إليه حياة الوطن على علاقتها، يقول:

أحب بلادِي وإن لم أنم
فكم أنت النفس من بأسها
تودّ الرجوع إلى غشها
قريّر الجفون بأحضانها
وناءت بأثقال أجفانها
وليس الردوع بإمكانها^(٣)

ويقول جورج صيدح عن تلك الشدة التي لاقاها المهاجرون: «من هذه الضائقة الخائفة تولد في المهاجر مهنة «الكشة»^(٤)، فالمهاجر يجد من يأتمنه على القليل التافه من لعب ودبابيس وأمشاط وكشاكش وصابون وعطور يضعها في علبة ويطوف بها على المنازل، وبعد تجوال طوال النهار في أحياء المدينة يعود بغلته إلى صاحب المتجر ليحاسبه على ما باع وما بقي، ويجدد محتويات صندوقه استعداداً لجولة الغد»^(٥).

ورغم كل تلك المشقات وضيق العيش، احتمل المهجريون صراع الرزق وكفاح الحياة، مؤمنين في النهاية ببلوغ الغاية؛ وساعدهم على ذلك ما وجدوه في بيئتهم الجديدة من الحرية والانفتاح، فاستطاعوا أن يبنوا جدار حياتهم الصامد بقوة عزمهم، حتى أصبح أكثرهم من الأعلام

وبعضهم من سادة البلاد؛ ومنهم الشاعر «مسعود سماحة»، وقد أصبح بعد حمل «الكشة» كولونيلاً في الجيش الأمريكي، فيقول مصوراً لحظات صراع الرزق وكفاح الحياة، وحياة المشقات:

كَمْ طويْتُ القفَّارَ مشياً وحملي فوقَ ظهري يكادُ يقسم ظهري
كَمْ قرعتُ الأبوابَ غيرَ مبالٍ لكلالٍ وقرَّ فصلٍ وحرٍّ^(٦)

بدأ المهاجرون العرب في المهجر الأمريكي الشمالي والجنوبي تأسيس مدارس عربية لتعليم أولادهم، ثم تكوين جمعيات دينية وخيرية تتولى المعاونة والرعاية لكل محتاج إليها وخاصة في ميدان الخير والتعاون فيما بينهم.

وقد أنشأوا كذلك جمعيات وروابط أدبية، كان لبعضها من الشهرة والذيع والآخر الأدبي ما خلد أسمها في حياتنا الأدبية المعاصرة، ومن أشهر تلك الجماعات الأدبية والروابط التي أنشأها المهجريون، وأهمها أثراً وتوجيهاً للحركة الأدبية في المهجر، «الرابطة القلمية» في المهجر الشمالي بنيويورك عام 1920م، و«العصبة الأندلسية» في المهجر الجنوبي بالبرازيل عام 1932م، و«رابطة منيرفا» وهي مدرسة أدبية أسسها الشاعر المصري أحمد زكي أبو شادي في نيويورك عام 1948م، و«الرابطة الأدبية» التي أنشئت في عاصمة الأرجنتين عام 1949م وقد أنشأها جورج صيدح على غرار الرابطة القلمية والعصبة الأندلسية، و«عصبة التقدم اللبناني» التي ظهرت في نيويورك والتي أسسها أحد أدباء المهجرين وهو نعيم مكرزل⁽⁷⁾؛ وغيرها من الجمعيات والأندية الأدبية. ومن الحق أن نقول هنا أن الجمعيات الأدبية والروابط وأندية القلم في المهجر لم تكن لتنهض وحدها بعبء مؤازرة الأدب عامة والشعر خاصة في العالم الجديد لو لم تساعدها الصحافة العربية الأدبية؛ ولسنا هنا بسبيل التاريخ لنشأة الصحافة العربية في المهجر، ولكننا لن ننسى - في هذا المقام - فضل الرائدین الأولین الدكتور إبراهيم ونجيب عربيي الذين أنشأ أول صحيفة عربية بأمريكا سنة 1892م باسم «كوكب أمريكا»، وذكر في كتاب «الناطقون بالزاد في أمريكا»، أن هذه الصحيفة أنشئت سنة 1888م؛ والصواب أنها أنشئت عام 1892م؛ والتصويب عن كتاب «تاريخ الصحافة العربية» للفيكونت فيليب طرازي⁽⁸⁾، وهو كذلك ما أكدته دكتور محمد عبد الغني حسن في كتابه «الشعر العربي في المهجر»⁽⁹⁾. وقد تميز الشعر المهجري بعدة ميزات منها الامتزاج بالطبيعة ومحاورتها، ومحاولة بث الحياة فيها، بحيث يُسقط الشعراء المهجريون ما في أنفسهم من مشاعر مختلطة كالفرح والقلق والخوف في شعرهم، فيملؤون نفوسهم المتعبة بالراحة والسعادة بابتعادهم عن صخب المدينة. ويطول بنا النظر ويبعد المسير إذا حاولنا الخوض في الحديث عن الطبيعة، فليست من الموضوعات الحديثة في الأدب، فقد وردت على ألسنة الشعراء العرب قديماً، كما أوردها المحدثون، وليس غريباً إذا قلنا: إن جميع عصور الأدب العربي امتزجت بحب الطبيعة والشعور بها؛ أما ما نلاحظه في شعراء المهجر عند تناولهم للطبيعة أنهم أضافوا إليها صفات لم تكن معهودة، كصفات الأحياء من كلام، وسمع، وسير، وتأمل، وتفكير، وقد تعهدوها كالإنسان يناجونها، ويثنون إليها آمالهم وآلامهم، فهي في نظرهم ليست كالدمية الجامدة، بل فيها الحس والشعور.

عمق الشعور بالطبيعة في شعر المهجر :

سحرت الطبيعة شعراء العربية من العصر الجاهلي وما تلاه من العصور، وراعتهم مشاهدتها، وبهرتهم مناظرها، فحلّق خيالهم في أجوائها وآفاقها، وانطلق بين جداولها ومروجها، وجنح فوق رباهها وخمائلها، مأخوذاً بما أودعه الله تعالى فيها من جمال وفتنة وحسن، وراحوا يصدحون في مجاليلها العديدة، ومغانيها الجميلة، بأعذب الألحان، وأروع الأنغام؛ هكذا يقدم دكتور محمد حسين هيكل لكتاب «شعر الطبيعة في الأدب العربي لمؤلفه «سيد نوفل»، الذي ذهب إلى أنّ كل مظاهر الطبيعة بأنواعها المختلفة، هي التي أثّرت في شاعرية كل شاعر، وإبداع كل فنان وأديب⁽¹⁰⁾. ولكننا نلاحظ أنّ كثيراً من شعراء العربية في تلك العصور، كان شعوره بالطبيعة يقف عند ألوانها الزاهية ومفاتيحها الحسية، فلا يعدو أن يصف الألوان ونقوش الجدران، أي أنّه يتناول الطبيعة وكأنّها دمية جامدة صامتة لا حسّ فيها ولا شعور ولا حياة، كما في قول ابن خفاجة في وصف نهر:

مُتَعَطِّفٌ مِثْلُ السَّوَارِ كَأَنَّهُ وَالزَّهْرُ يَكْتَفُهُ مَجْرٌ سَمَاءً⁽¹¹⁾

ولعلنا نلاحظ التشبيه تلو التشبيه (مثل) (كأنّ) دون أن يكون هناك تشخيص لهذه الصور ليمنحها الحياة والإحساس والشعور الذي يخرج بها من نطاق الجمود إلى مجال الحركة والحيوية⁽¹²⁾؛ ولعلّ هذا ما نجده عند معظم الشعراء الأقدمين الذين تناولوا الطبيعة في شعرهم، وقليل منهم من كان يميل إلى بث الروح والحياة في الطبيعة.

أمّا الناظر إلى شعر شعراء المهجر عامة، فيجدهم أنّهم ارتبطوا بالطبيعة ارتباطاً شعورياً وثيقاً خلق بينهم وبينها ارتباطاً وجدانياً، جعلهم يختلفون عن غيرهم من الشعراء في تناولهم للطبيعة؛ وقد صور لنا ميخائيل نعيمة، في حياة جبران، مدى شعور المهجريين بالطبيعة بصورة دقيقة، إذ قال: «... فالإنسان والثعبان، والقنفذ والغزال، والملوك والشيطان، أبناء الغاب الواحد، والغاب منهم غاية واحدة، وله فيهم مشيئة واحدة، من عرفها لم يعاندها، بل استسلم لها، ومن جهلها فعاندها، سحقتها فأشقتة»⁽¹³⁾؛ فنعيمه إذ يقول هذا القول، إنّما ينظر إلى الوجود كله على أنّه وحدة كاملة، تتنوع مظاهرها ولكن جوهرها واحد لا ينفصل. وعادة ما يميل شعراء المهجر إلى الطبيعة، ويفكرون في آيات الله في الكون من الجبال والطيور والتلال والغابات والأشجار والأنهار، فهم يناجون الأزهار ويناغون الطيور؛ وذلك لنسيان ما نزل بهم من الآلام والأحزان، وتذكّاراً للوطن والتعبير عن الحنين والشوق إلى وطنهم الأصيل، ويرون على الإنسان يجب عليه المحاكاة بالطبيعة إذا شاء تهذيب نفسه، فهذا هو نسيب عريضة يرى في الطبيعة مجالاً للتخلص من الكذب والخداع والتصنع وصولاً إلى اللحظة الصافية التي يشدها⁽¹⁴⁾، فيقول:

يا غَابُ جِئْنَاكَ لِلتَّعْرِ
أَنَا وَنَفْسِي وَلَا حَرَامَ
فليذع الغُصْنُ مَا يراه
مَنَّا إذا أحسن الكلام

والغاب عند المهجريين هو رمز البساطة والجمال، كما يقول نسيب عريضة: «الغاب كتاب مقدس، كلماته تعاويد تشفي من لذات فلسفة الحياة»⁽¹⁵⁾. ولعل «الغاب» هو المسرح الذي وجد فيه المهجريون جمال الطبيعة في فطرتها، وصفائها ومساواتها التامة بين الأحياء، فها هو أبو ماضي يصور لنا الغاب، وما فيه من لهو وجمال وعطف، في قصيدته «الغابة المفقودة»، فيقول:

لِلَّهِ فِي الْغَابَةِ أَيَّامًا مَا عَابَهَا إِلَّا تَلَاشِيَهَا
طَوْرًا عَلَيْنَا ظِلُّ أَدْوَاهَا وَتَارَةً عَطْفُ دَوَالِيهَا
وَتَارَةً نَلْهُو بِأَعْنَابِهَا وَتَارَةً نُحْصِي أَقَاحِيهَا⁽¹⁶⁾

وهذا ميخائيل نعيمة يكر إلى الغاب قائلاً في قصيدته «صدى الأجراس»:

أَشْجَارُ الْغَابِ تَحْيِينًا وَطُيُورُ الْغَابِ تَنَاجِيْنَا
وَزَهْرُورُ الْغَابِ تَصَافِحُنَا وَنَصَافِحُنَا وَتَهْنِئُنَا⁽¹⁷⁾

ويقول أيضاً في قصيدته «المواكب»:

لَيْسَ فِي الْغَابَاتِ حُزْنٌ لَا وَلَا فِيهَا الْهُمُومُ⁽¹⁸⁾

فالغاب التي يقصدها الشاعر جبران خليل جبران، فليست غاباً بمعناها الضيق؛ بل هي الطبيعة بأسرها كما قال أنطوان القوّال في مقدمته التي كتبها للمجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران الشعرية⁽¹⁹⁾.

ويعبر شعراء المهجر عن الحياة الطبيعية السهلة غير المعقدة بألفاظ أخرى غير الغاب منها: القفر والنور والضياء؛ فهذا إيليا أبو ماضي في جداوله يكتب قصيدة بعنوان «في القفر» ويعني به نفس ما عناه جبران خليل جبران بكلمة الغاب ويبدوها بقوله:

سَمَّمْتُ نَفْسِي الْحَيَاةَ مَعَ النَّاسِ وَمَلَّتْ حَتَّى مِنَ الْأَحْبَابِ⁽²⁰⁾ وقد خرج شعراء المهجر من أوطانهم يحملون معهم خصائص الشعر العربي، وفي أخيلتهم تلك الطبيعة الجميلة التي طالما عاشوا فيها ومعها أجمل مراحل عمرهم؛ مرحلة الطفولة والصبا، وعندما وصلوا إلى بلاد المهجر وعاشوا في العالم الجديد جعلوا من الطبيعة أدباً جديداً مبتكراً، فكانت الطبيعة عندهم أفسح من أن تكون مستودعاً لا يرى فيه الشاعر إلا صورة اعتدال القوام واهتزاز الخصر وابتسام الثغر⁽²¹⁾.

وقد منح شعراء المهجر الطبيعة الحياة وخلقوا فيها الشعور والإحساس، مما خلق نسباً وثيقاً وتجاوباً شعورياً بينهما، فعانقوها عناقاً روحياً لا ينقسم فهي بما فيها من قلب نابض وحياة شاملة تساجلهم العطف وتجاذبهم المودة، مما جعل الطبيعة في شعرهم تختلف عن الطبيعة في شعر غيرهم على مرّ مراحل الشعر العربي، فهذا الإحساس العميق بالطبيعة الذي نجده في أدب المهجريين بنوع خاص جديد في طريقته، جديد في روحه؛ فهذا ميخائيل نعيمة في قصيدته «صدى الأجراس» يهتف بالغاب ويتجاوب مع كل شيء فيه شجرة وزهره وطيّره وشمسه ونهره حتى يصبح كل العالم ملكه، ويتخيل الغاب بأشجاره وطيوره وأزهاره، كلها تصافحهم وتهنئهم بسلامة الوصول، فيقول:

النَّاسُ تَسِيرُ إِلَى الْقَدَّاسِ وَنَحْنُ نَكُرُّ إِلَى الْغَابِ
أَشْجَارُ الْغَابِ نُحْيِيهَا وَطُيُورُ الْغَابِ تُنَاجِيهَا
وَزُهُورُ الْغَابِ تُصَافِحُهَا وَنُثْنِيهَا
وَالشَّمْسُ بِلُطْفٍ تَلْتَمُّ أَوْجُهَهَا وَتَذُرُّ لَنَا ذَهَبًا⁽²²⁾

وفي قصيدته «النهر المتجمد»، يقول:

يَا نَهْرُ هَلْ نَضِبْتُ مِيَاهُكَ فَانْقَطَعَتْ عَنِ الْخَرِيرِ؟
أَمْ قَدْ هَرِمْتَ وَخَارَ عِزُّكَ فَانْتَبَيْتَ عَنِ الْمَسِيرِ؟
بِالْأَمْسِ كُنْتُ مُرَمِّمًا بَيْنَ الْحَدَائِقِ وَالزُّهُورِ⁽²³⁾

وفي عالم الحيوان والطير يصور لنا إيليا أبو ماضي الفراشة المحتضرة، وقد علتها الكآبة لما أصابها، فيخاطب الرياح قائلاً:

فَيَا رِيَّاحَ الْخَرِيفِ الْعَاتِيَاتِ كَفَى
عَصْفًا فَقَدْ كَثُرَتْ فِي الْأَرْضِ قَتْلَاكَ
كَيْفَ اغْتِذَاؤُكَ إِنْ قَالَ إِلَهُ غَدًا
هَلِ الْفَرَّاشَةُ كَانَتْ مِنْ ضَحَايَاكَ؟⁽²⁴⁾

ولا شك أن هذا الإحساس العميق بالطبيعة هو إحساس جديد في طريقته، جديد في روحه، يترك في النفس أثراً عميقاً يتعالى فوق قيود المادة!

واتخذ شعراء المهجر الطبيعة رمزاً للآمال ومعلماً مثالياً، وكتاباً مفتوحاً لتعلم المبادئ والمثل؛ وها هو أبو ماضي في قصيدته «الطلاس» يناجي البحر ويوظف الطبيعة لجعل منها بؤرة للوجود، فيقول:

أَيُّهَا الْبَحْرُ أَتَدْرِي كَمْ مَضَتْ أَلْفٌ عَلَيْكَ
وَهَلِ الشَّاطِئُ يَدْرِي أَنَّهُ جَآثٍ لَدَيْكَ
وَهَلِ الْأَنْهَارُ تَدْرِي أَنَّهَا مِنْكَ إِلَيْكَ
مَا الَّذِي الْأَمْوَاجُ قَالَتْ حِينَ تَارَتْ؟
لَسْتُ أَدْرِي!⁽²⁵⁾

ونلاحظ في الأبيات السابقة وغيرها، إن أبرز ما لفت أنظار شعراء المهجر من مظاهر الطبيعة حولهم: الليل والبحر، هذا الجديد الذي لا يبلى وذاك الخضم العارم الذي لا ينفد، أما الليل بظلامه ووحشته وسكونه، فيكاد كل واحد منهم يقول فيه شعراً؛ وقديماً وصف الشاعر الكندي الليل بقوله المشهور:

وليل كموج البحر أرخى سُدُولَهُ عَلَيَّ بِأَنْوَاعِ الْهَمُومِ لِيَبْتَلِي
فَقُلْتُ لَهُ لِمَا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ وَأَرْدَفَ أَعْجَازًا وَنَوَآءَ بِكُلِّ
أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا أَنْجِلْ بَصْبَحَ مَا الْإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْثَلِ⁽²⁶⁾

وجاء جبران خليل جبران بأسلوبه الخالي من التشابه والاستعارات والمجاز، فقال بمنتهى البساطة والسهولة:

سَكَنَ الليلُ وفي ثوبِ السكونِ تَحْتَبِي الأحلامُ
وسعى البدرُ، وللبدرِ عيونُ ترصُّدُ الأيامُ
فَتَعَالَى يا ابنة الحقلِ نزورُ كَرَمَةَ العشاقِ
علناً نُطْفِي بذيَّاك العَصِيرُ حُرْقَةً الأشواقِ^(٢٧)

فهو يحب الليل وما يثيره في نفسه من ذكريات، وما يكشف عنه من أسرار، وهو لا يخاف من نجوم الليل لاطمئنانه إلى أنها كتومة لا تذيع سرّاً، وكذلك الضباب الذي يغطي الكروم بغلالته الرقيقة حاجب للأسرار⁽²⁸⁾. والذي يطلع على الإنتاج الأدبي لشعراء المهجر يرى أنّ للطبيعة حظاً وافراً من هيامهم، وتأملاتهم وهمساتهم، ويرى أنّ حب الطبيعة قد جرى في نفوسهم مجرى الدم في المفاصل، حتى أنّ أغلب دواوينهم الشعرية جاءت موشحة بعناوين الطبيعة: أوراق الخريف، الجداول، الخمائل، تر وتراب، وغيرها؛ وهكذا الأدب عند شعراء الرابطة القلمية ليس مشاركة وجدانية لبنى الإنسانية فحسب؛ ولكنه مشاركة وجدانية - أيضاً - لمظاهر الطبيعة بأشكالها وألوانها المختلفة.

إنّ مشاهد الطبيعة لدى الشاعر المهجري كانت مقدسة، وهذه القدسية تولدت نتيجة حياة الغربة التي عاشها بعيداً عن أرضه وعن دياره بحثاً عن رزقه، لذلك كان يحس بأنه أخ للأشجار والأنهار والوديان، وابناً من أبناء الطبيعة يسترخي بين ذراعيها فيشعر أنه ولد من جديد، فتعود إليه طفولته التي يحلم بها⁽²⁹⁾، فيقول القروي في قصيدته «الولادة الجديدة»:

إذا الشَّمسُ يا أم لاحت هَتَفَتْ هتاف الغريبِ رأى الموطنا
وقبّلت غُرْتها بالبنان وطوّقت بالساعدين السنا
كذلك كنت أمدّ يدي إلى النار طفلاً أطفلُ أنا؟
وإذ يكفهر جبين السماء وتسكب أجفانها الدمع طلاً
وتنشر فوق الرؤوس المظلات لم أرض غير السحابة ظلاً
كذا كنت أعشق خوض الجداول طفلاً فهل عدتُ يا أم طفلاً
فأسمعني الطير عند الصباح جواب الطبيعة لي تنشدُ
بُنَي! ولدتك طفلاً جديداً فقل للرفاق الأولى تعهد
لقد ملأ الأرض أولادكم وأنتم إلى الآن لم تولدوا!!^(٣٠)

ويخلص الباحثان إلى أنّ شعراء المهجر تطرقوا إلى شعر الطبيعة وتعمقوا فيه، ورسومه بأجمل الصور الفنية المعبرة، وكانوا من عشاق الطبيعة، وامتزج شعرهم بمظاهرها المختلفة.

خاتمة:

إن شعراء المهجر قد ضاقوا ذرعاً بحياة المدن، التي تتسم بالتكلف والتصنع لتحقيق الأغراض والمنافع الشخصية، ولذاؤوا إلى الطبيعة حيث الحياة الفطرية البسيطة التي كانوا يتوقون إليها وهم بعيدون عن أوطانهم، لذلك جاء شعرهم صورة صادقة لما يعتمل بداخلهم من مشاعر

وأحاسيس فياضة بالحنين والشوق إلى قراهم ومدارج طفولتهم. وتوصل الباحثان لجملته من النتائج هي:

1. كانت الطبيعة بكل ما فيها من جمال رائع الملمح الأول لشعراء المهجر.
 2. إن مشاهد الطبيعة لدى الشعراء المهجريين كانت مقدسة ، وهذه القدسية تولدت نتيجة حياة الغربة التي عاشوها بعيداً عن أوطانهم.
 3. الطبيعة كانت لشعراء المهجر بمثابة الأم الرؤوم فقد استراحوا بين جنباتها وخلعوا همومهم بين أحضانها فأحسوا بقرابة ما بينهم وبينها.
 4. إن الطبيعة أصبحت بالنسبة لشعراء المهجر مجالاً لطرح التساؤلات التي تقلق الوجود الإنساني كثنائية الخير والشر .
 5. منح شعراء المهجر الطبيعة الحياة وخلقوا فيها الشعور والإحساس، مما خلق نسباً وثيقاً وتجاوباً شعورياً بينهما، فعانقوها عناقاً روحياً لا ينقسم فهي بما فيها من قلب نابض وحياة شاملة تساجلهم العطف وتجادبهم المودة.
- ويوصى الباحثان بالاهتمام بدراسة الأدب المهجري، باعتبار أن مدرسة المهجر صاحبة رسالة جديدة في الأدب بمعناه الإنساني الواسع الشامل، وأن تركز البحوث على الأدباء المغمورين الذين كانوا متفرقين في مختلف الجمهوريات الأمريكية.

الهوامش:

- (1) موقع شبكة الأمة برس الإلكتروني، شبكة إخبارية عربية أمريكية مستقلة، ولاية ميتشجن، مايو 2009.
- (2) ديوان فرحات : إلياس حبيب فرحات ، طبعة ساو باولو ، البرازيل ، 1932 ، ص 265 .
- (3) ديوان الأرواح الحائرة : نسيب عريضة ، طبعة نيويورك ، 1946 ، ص 96 .
- (4) الكشة : صندوق من الزنك يحتوي على أنواع من الخردة الرخيصة يشده البائع إلى ظهره بسيور من الجلد ، وهي لفظة برتغالية .
- (5) كتاب الأدب العربي في المهجر لحسن جاد حسن ، ص 26.
- (6) ديوان مسعود سماحة، طبعة نيويورك، 1938.
- (7) شعراء الرابطة القلمية : نادرة جميل سراج ، ط1، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، 1964 ، ص 61 .
- (8) تاريخ الصحافة العربية : الفيكونت فيليب طرازي، ج4، ط1، المطبعة الأدبية، بيروت، 1913، ص 406 .
- (9) الشعر العربي في المهجر : محمد عبد الغني حسن ، ط3، مؤسسة الخانجي ، القاهرة ، 1962، ص 12 .
- (10) شعر الطبيعة في الأدب العربي، سيد نوفل ، ط1، مطبعة مصر ، القاهرة، 1945، ص4.
- (11) ديوان ابن خفاجة: تقديم دكتور عمر الطباع، (د.ط.)، دار القلم، بيروت، لبنان، 1994، ص12
- (12) شعر المهجر قضاياه ومميزاته: فوزي يوسف إبراهيم، رسالة دكتوراه، جامعة الجزيرة، السودان، 2013، ص 87 .
- (13) جبران خليل جبران، لميخائيل نعيمة ، ط12، مؤسسة نوفل ، بيروت، لبنان، 2009 .
- (14) الطبيعة في الأدب المهجري ، أنس داؤد ، منتديات ستار تايمز، 2010.
- (15) شعراء الرابطة القلمية، نادرة جميل سراج ، ط1، دار المعارف ، مصر ، 1964 ، ص 162
- (16) الأعمال الكاملة لأبي ماضي، تقديم عبدالكريم الأشتر، ط1، مؤسسة عبدالعزيز سعود، الكويت، 2008، ص783.
- (17) ديوان همس الجفون: ميخائيل نعيمة، ط6، مؤسسة نوفل، بيروت، لبنان، 2004، ص38.
- (18) المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران (الشعر): جمع وتقديم أنطوان القوّال، ط1، دار الجيل، بيروت، 1999، ص19.
- (19) المرجع السابق، ص7.
- (20) من أعمال إيليا أبو ماضي (الجداول)، ط1، دار كاتب وكتاب، بيروت، 1988، ص48.
- (21) شعر المهجر قضاياه ومميزاته، فوزي يوسف إبراهيم، رسالة دكتوراه، جامعة الجزيرة، السودان، 2013، ص 89 .
- (22) ديوان همس الجفون : ميخائيل نعيمة ، ط6، مؤسسة نوفل ، بيروت ، لبنان ، 2004 ، ص 41 .
- (23) المرجع السابق، ص34.
- (24) الأعمال الشعرية الكاملة لأبي ماضي، تقديم عبدالكريم الأشتر، ط1، مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود، الكويت، 2008، ص701
- (25) ديوان الجداول : إيليا أبو ماضي ، دار العلم للملايين ، بيروت، لبنان ، 1970، ص139.
- (26) شعراء الرابطة القلمية : نادرة جميل سراج ، مرجع سابق، ص166.
- (27) المرجع السابق، ص67.
- (28) المرجع السابق، ص167.
- (29) الطبيعة في الأدب المهجري ، أنس داؤد، منتديات ستار تايمز، 2010.
- (30) قصيدة الولادة الجديدة من ديوان القروي ، رشيد سليم الخوري، مجلة الأديب، العدد 6، 1949.